كان وقبائلها «14»

محمد القعود
Kood500@hotmail.com

كان الفرح
كائناً ينتمي إلى كل الناس،
يبحث عن بيت يأوي إليه
وعن عمل يقتات منه
وعن اسم خالٍ من التصنيف الأبله،
وعن عدالة تمنع الاشباح
من التطاول على حقوقه الدستورية.

كان الفرح
يطمح إلى نزهة يومية
وبستان صغير يزرعه بالورد،
ورفقة يمجّون السياسة
وشارع خالٍ من حواجز القبيلة
وحارة لا يزعجها عبث الفساد
ومدينة لم تلوثها الأحزاب بنجاساتها
المناطقية،
ووطن لا يتقوّل عليه الخونة.

كان الفرح
يحمل زاده الصباحي
ويطوف أزقة المدينة
علّه يجد قُمريته في شرفة بيت عتيق،
أو يجد زمنه في زاوية منسية
ينتظر هبوب ألفته الحميمية.

كان الفرح
مثل كل الكادحين، يقتنع بالقليل
يشكر رب العالمين على نعمته الدائمة
ويلعن بعد كل تنهيدة متفجرات الأحزاب.

كان الحب
ينتظر لحظته المواتية
ليعبّر عن أشواقه المضطرمة
دونما وساطة شيخ الحارة.

كان الحلم،
يتسوّل الأمان،
ويبحث عن غرفة للإيجار
في وطن الحكمة الضالة.

كان الحلم
يئن من أوجاع المرحلة
ويشكو من «ثيران» القبيلة
وتبريرات المثقفين الأبواق
وسماسرة الأراضي المغتصبة.

كان الصوت
يبشّر الغافلين عن الحقيقة
بحقيقة تتوارى خلف الخديعة
وبخديعة تلملم سيرتها المنثورة.

كان الجبل
يضحك من أولاده الطيبين
ويعدهم بغلّة من القمم العالية
في موسم الحصاد القادم.

كان الجبل
يمدّد رسوخه ولا يبالي بزوّاره الغرباء،
يقوم بواجب الضيافة
وحين يشعر بالنوايا السيئة
تتحدث البروق بالنيابة عنه.

كان الملل
يمضغ القات ويفكّر
بتنصيب نفسه شيخاً للفراغ
وافتتاح «سوبر ماركت» لترويج الأزمات،
وتدشين وطن لإنتاج الضياع.

كان الملل
يتبوّل على جميع خرافات العاطلين عن
الوطنية،
ويشطب من خارطة الأمل
كل وجوه القادمين من الضغينة.

كان النباح
يروّج لظهور دجّال جديد
ويبشّر القرى الجائعة
بهطول أمطار مباركة
وبغزوات مقدسة للجراد.

كان المسلّح
يعطي الوطن ظهره، ويصوّب بندقيته نحو
المستقبل،
يهتف باسم مولاه
ويتأفف من تلفظ نشيده الوطني.

كان المسلّح
يعتّم بأوامر شياطينه
ويدوس على ميزان العدالة..
ينقضّ على هديل الحمام
ويطرب لصوت بندقيته المتعبة..
يتسلى بسرد هلع ضحاياه،
وقنص أحلام الباعة الجائلين.

كان المسلّح
يهجر الإنسانية وتوابعها
ويستعيد طقوس الوحشية..
تزأر جميع ملامحه، وأطرافه
وتكشّر عيونه بألوان مفترسة..
ويرقص بجنون كلما سارت دماء الضحية
في مظاهرة عارمة.

كان المسلّح
يدجّج كيانه بمنجزات التخلف
ويقف أمام متارسه الترابية
متّشحاً بتعويذات الدجل
ووعود شياطينه بغنائم وفيرة.

كان المسلّح
ينير ظلمته بزغردة الرصاص
ويضحك كثيراً كلما سمع الأمهات
وهن يشعلن فزعهن خوفاً على فلذات

الأكباد..
يطير طيشاً، ويقهقه إن خرّت الجدران
وأعلنت الحدائق الحداد العام
على مصرع العصافير وسقوط الأشجار.

كان الوهم
يفرّخ أبطاله المزودين بحفّاظات «البامبرز»
وينصّبهم زعماء للغبار..
يتسول لهم ألعاباً أجنبية
ويدفع بهم إلى مضمار السخرية.

كان القنص
عاصمة جديدة للعبث،
وهدية مباركة لكل عابر سبيل،
ومدرسة مفتوحة لجيل الغد.

كان الحوار
يجلس بجوار طاولة وحيدة
وينتظر مَنْ يساعده على إشعال شمعة
وتبديد ظلام النفوس..
ينتظر مَنْ يزيح معه حجراً ثقيلاً
من طريق الغد الموعود،
ينتظر مَنْ يستمع إلى أعماقه
الملأى بالحب لكل الكائنات،
ينتظر مَنْ يصافحه بصفاء
ويحّيي معه راية الوطن.

كان المطبخ
يتذمر من رداءة الطباخين
وسوء أغذيتهم الرديئة،
يحمّلهم سبب الهزال في أجساد المتنمرين
وضعف عقول الساسة.

كان المطبخ
يبحث عن حلول لحيرته الدسمة
وعن وصفة غذائية مشبعة بالمواد الوطنية
وعن طباخين خالين من الأمراض المعدية
ومن الجهل بأصول الطبخ المحلية

كان الشوق
يمتنع عن التصريح بمتاعبه
ويفضل قراءة الروايات التاريخية
حتى تنبت له أجنحة
أو تنفجر براكينه وتجتاح جميع اللاءات.

● مقاطع من نص طويل

إصدارات ثقافية

(الأدب المقارن: المنهج والمنظور)

● يضم كتاب (الأدب المقارن: المنهج والمنظور) الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب بدمشق اثني عشر بحثاً تتناول مختلف قضايا الدراسة الأدبية ومشكلاتها من زوايا مقارنة وتمثل الدراسة حقلا من التقصي للنظرية والتطبيق للأدب المقارن في أمريكا.
ويمكن لهذه الدراسة التي حررها نيوتن ب.ستالكنخت هورست فرنز وترجمها وقدم لها الدكتور فؤاد عبد المطلب تقديم مساعدة كبيرة لدارس الأدب المقارن مهما كانت اهتماماته في إيجاد طريق منهجي له في هذا المجال الواسع للدراسة وما زال هذا الكتاب يعد من الكتب التقليدية التي يتم تناولها في أقسام الأدب المقارن في الجامعات الأمريكية.
ومن وجهة نظر المترجم فإن الأدب المقارن لا يزال إلى حد ما من العلوم الجديدة التي يحاول ممارسوها محاولات حثيثة للتركيز على أهدافه وتعريفه وتحديد مداه ولا غنى لاي طالب يدرس هذا المجال عن مثل هذه الدراسات.
وفي البحث الأول يتم تعريف الأدب المقارن ووظيفته وفق أبحاث هنري ريماك حيث يجمع الباحث فهرساً نموذجيا من الأعمال الأساسية في الأدب المقارن فيحتوي البحث أهم المطبوعات الصادرة بالإنكليزية والفرنسية والألمانية في حقل الأدب المقارن مع تعليقات قصيرة مفيدة تعرف تلك الأعمال.
ويتركز البحث الثاني حول ما قدمه إدوارد د.سيير في مجال تعريف المصطلحات حيث يتطرق البحث إلى دراسة بعض مشكلات المصطلح التي يصادفها دارسو الأدب المقارن فمعاني المصطلحات تتبدل من فترة إلى أخرى ومن منطقة إلى أخرى حيث ينصح الباحث من يدرس في هذا المجال برؤية المصطلحات وفق الخلفيات التاريخية لها.
وفي البحث الثالث يتم النقاش حول التداين الأدبي والدراسات الأدبية المقارنة وفق دراسة لجوزيف ت.شو أستاذ اللغات السلافية في جامعة ويسكنسن والذي يركز في بحثه على قضية شغلت حيزاً كبيراً من اهتمام باحثي الأدب وهي قضية تأثير مؤلف في مؤلف آخر أو ما يسمى التداين أو التأثير الأدبي.
ويتناول البحث الرابع فن الترجمة وفق رؤية هورست فرنز حيث يناقش القضايا والمشكلات التي تتعلق بالترجمة الأدبية بمعظم أشكالها طارحاً آراءه التي تؤكد النظر إلى الترجمة الأدبية بوصفها فناً قائماً في ذاته ويمكن التحدث عن هذا الفن أيضاً بأنه عامل فاصل بين الترجمة والنص الأصل.
ويدخل البحث الخامس في نطاق أكثر اختصاصية وهو الأدب وعلم النفس لليون إيدل ويستمر البحث السادس والسابع في دراسة علاقة الأدب بمجالات أخرى كالأدب والأفكار لنيوتن ب.ستالكنخت والأدب والفنون لماري غيثر.
وفي البحث الثامن يشرح ستيث تومبسون فكرة الأدب لغير المتعلمين حيث ينظر إلى الأدب من منظور من يعرف القراءة والكتابة فقط وهؤلاء ليسوا أميين وإنما يتداولون القصص القديمة والأغاني والخرافات والأشعار.
ويتناول نورمان ت.برات نموذجين من المأساة الكلاسيكية حيث يرسم في هذا البحث الحدود بين المسرحية الكلاسيكية الإغريقية والمسرحية الرومانية أو الرواقية التي كتبها سينيكا..
ويخوض أولريش فايسشتاين في دراسة الأنواع الأدبية حيث يقدم مناقشات تتجاوز حدود الشكل ويشير إلى الملحمة والرواية والمأساة والشعر الغنائي وغيرها حيث يدرس ويصنف الأنواع الأدبية ويعرفها من خلال المصطلحات الألمانية.
وفي البحث الحادي عشر يتناول هنري ريماك الرومانتيكية الأوروبية الغربية هذا المصطلح الذي خضع لتفسيرات متباينة وخلافات كثيرة حيث يدعونا الباحث هنا إلى تلافي الكثير من الفوضى وسوء الفهم والتركيز على مضمون المصطلح.
ويختتم الكتاب في بحث لآرثر إي.كونست بعنوان آداب آسيا ويتضمن البحث تفسيرات أوروبية لأعمال كتاب آسيويين مستعرضاً عدداً من الأسئلة التي تواجه الباحث المقارن عندما يدرس الأدب الآسيوي من وجهة نظره الخاصة.

التصوف والتفكيك بين ابن عربي ودريدا

■ على الرغم من الفرق الشاسع بين الفيلسوف الفرنسي جاك دريدا المنتمي تاريخيا إلى حقبة ما بعد الحداثة في الزمن المعاصر، والشيخ محي الدين ابن عربي المنتمي إلى اللاهوت العربي المسلم في زمن القرون الوسطى؛ وعلى الرغم من مئات السنين الفاصلة وتباعد الأماكن؛ فقد اجتمعا على معارضة الفكر العقلاني الذي يتخذ من العقل مبدأ حاكما.
ولإلقاء الضوء على هذا الأمر، أصدر المركز القومي للترجمة بالقاهرة مؤخرا كتاب «التصوف والتفكيك درس مقارن بين ابن عربي ودريدا» تاليف إيان ألوند؛ وترجمة حسام نايل.
يتكون الكتاب من مقدمه وأربعة فصول وخاتمة؛ يتناول الفصل الأول سيادة روح تمردية عند الشيخ ابن عربي والفيلسوف دريدا (من وجهة نظر ألوند) تنفر من العقل الساعي إلى تشييد آفاق صارمة.
ينتقد الشيخ ابن عربي طرق أهل النظر في التفسير والإنشاء اللاهوتي؛ ويعيد الفيلسوف دريدا فحص التراث الفلسفي ونسق المفاهيم الرئيسية في مسيرة الفكر اليوناني الأوروبي المتمركز حول العقل؛ كما نلاحظ أوجه الشبه الطريفة بين الاختلاف المرجئ عند دريدا أو الحق عند ابن عربي؛ فإلحاح دريدا على أن الاختلاف المرجئ ليس كلمة ولا مفهوما يتصادى مع الآية الكريمة التي يولع الشيخ بتكرارها.
ويتناول الفصل الثاني من الكتاب النتائج المترتبة على تحرر ابن عربي ودريدا من حدود العقلانية وتصنيفاتها الضيقة.
أما الفصل الثالث فيخصص لمناقشة مؤديات الحيرة عند ابن عربي ودريدا. إن ابن عربي – شأن دريدا – يرى النصوص مناسبات استكشافية لأسرار تحتاج إلى فك الشفرة ؛ يراها لحظة فتح أو فتوحات لا شيئا مغلقا.
ويناقش ألوند في الفصل الرابع معنى السر وذوق الغيب والأعماق عند ابن عربي ودريدا .

كتاب توثيقي عن السينما السويسرية

■ عند الحديث عن السينما السويسرية لا يتبادر إلى الذهن إلا اسم المخرج السويسري الفرنسي جان لوك غودار الذي بات اختصاراً عالمياً لموضوع السينما السويسرية ويمكن اعتباره إيقونة هذه السينما ولكن في النهاية لا يمكن اختصار سينما بلد هام مثل سويسرا باسم مخرج واحد وهنا يأتي كتاب (السينما السويسرية) ليضعنا أمام نموذج سينمائي لايقل أهمية عن أي نموذج سينمائي أوروبي آخر.
فكتاب السينما السويسرية الصادر عن المؤسسة العامة للسينما بدمشق يأتي في مجال توثيق السينما الإنسانية وتقديم شرح واف عن أهم النماذج السينمائية التي سادت في مرحلة من المراحل أو التي ما زالت تقدم إنتاجاً سينمائياً يحظى بالتقدير والاهتمام.
وينحو كتاب (السينما السويسرية) للمؤلف مارتين شاوب ترجمه توفيق الأسدي تجاه تقديم دراسة عن نموذج سينمائي فريد لم يلق الكثير من الاهتمام عالمياً فالأفلام السويسرية نادراً ما تشق طريقها نحو السينما العالمية لعدة أسباب أهمها النظرة التي ما يزال البعض يعتقد بها وهي أن سويسرا جزيرة وسط أوروبا وبالتالي هي مجرد محطة مراقبة.
ويستعرض الكتاب بداية اللفتة التوثيقية التي قدمها إيرفيه دومون مدير السينماتيك السويسرية في لوزان للفيلم الروائي الطويل في سويسرا من خلال كتابه (تاريخ الفيلم السويسري) حيث يتتبع الكتاب البدايات المتباينة للعقدين الأولين في سلسلة ما يسمى بأفلام الوطن وهي أفلام شاعرية عن الحياة الريفية السويسرية في جبال الألب ومن أهم هذه الأفلام : القرية الفقيرة–معنى الحياة–صليب ماتروهورن–وجوه الأطفال – الأم بترونيلا وغيرها وهي أفلام أنتجت في عقد العشرينيات والتي كان لها دورها في بدايات السينما السويسرية إلا أنها لم تستطع أن تحقق المعايير الدولية للسينما.

ويتحدث الكاتب عن مخرجين اثنين هما جاك فيدير وجان شو اللذان خرجا عن الصيغة الكلاسيكية للسينما السويسرية واستطاعا إيصالها إلى العالم الآخر وعلى يديهما برز عدد من الممثلين الذين خرجوا من نطاق سويسرا إلى العالمية مثل ميشيل سيمون.
ويتناول الكاتب عدداً من الأفلام السويسرية التي سادت في فترة الحرب العالمية الثانية وطافت أوروبا بكاملها مثل (قناص المشاة) لشركة افلام فشسلر برايزنش والمخرج ليوبولد ليندبرغ والذي اعتبر أول فيلم سويسري اصيل وكان فاتحة لعدد من الأفلام وضعت سويسرا في صف الأوائل سينمائياً في تلك الفترة إلا أن هذه الحقبة لم تطل فمع انتهاء الحرب عادت السينما الفرنسية والإيطالية والأمريكية والبريطانية والألمانية لتعرض دون عوائق في مختلف البلدان ما هدد السينما السويسرية التي أصرت الحفاظ على ذاتها بجهود سينمائييها ومجموعة من الأفلام التي أنتجت في تلك المرحلة.
ويرى الكتاب ان مرحلة الخمسينيات وحتى منتصف الستينيات كانت مميزة في السينما السويسرية من خلال أعمال فروه وشنايدر التي كرست الإيقاع البسيط الريفي في السينما السويسرية وحولت هذه السينما إلى سينما حكائية تراثية ذات إيقاع بطيء لذا لم تلق هذه الافلام رواجاً كبيراً ونبأت بمرحلة جديدة للخروج من هذا الطابع الكلاسيكي.
لكن منذ منتصف الستينيات بدأت السينما السويسرية تنطلق خارج الريف وترافق ذلك مع قوانين اصدرتها الدولة لتسهيل تمويل قطاع السينما لتنبئ هذه المرحلة بالانطلاق نحو العالم ولو بخطأ غير سريعة بدأتها السينما الوثائقية في نهاية الستينيات وعقد السبعينيات على يد آلان تانر–كلود غوريتا–ميشيل سوتيه وغيرهم.
وفي نهاية السبعينيات برز اسم غودار بقوة أكثر من السابق وهو المخرج السويسري الفرنسي مزدوج الجنسية حيث بدأ بتصوير أفلامه في سويسرا وكان أولها (عملية البيتون) وكان حضوره الأكثر تميزاً على صعيد السينما السويسرية لإتباعه نظريات فنية وفلسفية في السينما وتكوينه لحركة سينمائية ذات نتائج مذهلة على الصعيد السويسري والفرنسي بشكل خاص وعلى صعيد السينما الأوروبية بشكل عام.
ويرى المؤلف أن الأفلام المشتركة سيطرت على الوسط السينمائي السويسري حتى الآن وذلك لقوة الجهات الأوروبية المنتجة التي تعتمد على خبرات سويسرية ونتيجة لضعف قطاع الانتاج السينمائي السويسري عامة مقارنة بالمنتج الأوروبي ولكن هذا لم يلغ الخصوصية السويسرية سينمائيا وتفرد سويسرا بما قدمته عبر تاريخ السينما وما زالت تقدمه بالإضافة إلى مهرجاناتها التي كانت من أهم المحافل السينمائية في العالم في مرحلة من المراحل.
ويختتم الكتاب بمجموعة من الصور المأخوذة من أفلام سويسرية هامة وخاصة تلك الأفلام الريفية التي أعلنت انطلاق حالة سينمائية أوروبية فريدة من نوعها.